أيام الحسوم وبرد العجوز

بحث تاريخي لغوي

يجد الناس في التقاويم المصرية تسمية ثمانية ايام من اول برمهات الى آخر الثامن منهُ باسم ايام الحسوم وبرد العجوز . وهم يتطيرون من هذه التسمية كما يعتقدون باشتداد البرد والزمهرير في تلك الايام مع ما سبقها من اعتدال الجوّ او اشتداد الحرّ في بعض الاحيان . ثم يتساوى الليل والنهار بعد ١٣ برمهات بنزول الشمس الكبيرة و يعقب ذلك دخول الربيع بعد زوابع انتقالها الى برج الحمل وطول الاعتدال الربيعي . وقد اهتمّ الباحثون بمعرفة اصل هذه التسمية فمنهم من نسبها الى المصريين القدماء ومنهم من نسبها الى غيرهم وقد اثبت الاثريون والمنقبون ان التقويم المصري الفرعوني لم يتغير عن وضعه القديم فالاشهر القبطية والسنة القبطية بقيت وتبقى حافظة للتقاليد السنة الفرعونية والتقاويم الفرعونية بغير تبديل عما نقش في منطقة فلك البروج على جدران الهياكل المصرية بدندره ومدينة هابو وادفو

ومن المعلوم ان التقويم الفرعوني المصري هو الذي حافظ عليهِ الاقباط للاستعانة بهِ في الاعمال الزراعية ورخّص لهُ الفاتحون فاتبعوهُ لان قوامهُ الحساب الشمسي الذي لا يتغير وقد جرت الاعمال عليهِ من عهد الفتح العربي الى الآن . فاذا وردت في التقاويم الحالية عبارة ما لم تكن واردة من قبل في التقاويم القديمة الفرعونية وجب البحث في مصدرها كعدة ايام الحسوم وبرد العجوز وكيفية تحديدها . والراجح ان هذا التحديد حادث على التقويم المصري الفرعوني ولعلي لا اخطئ اذا قلت ان تسميتها بايام الحسوم حدثت بعد الفتح العربي بناء على ما ذكر في الآيتين السادسة والسابعة من سورة الحاقة « اما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية ايام حسوماً » قرآن كريم

فيحسن الرجوع الى تحليل الالفاظ والاستدلال من قواميس اللغة وكتب التفسير لرد الشيء الى اصلهِ اذ البحث تاريخي لغوي بقدر ما يمكن لمعرفة سبب تسمية هذه المدة بايام الحسوم او برد العجوز [1] المعروفة عند العامة من المصريين والخاصة على السواء ووقوع البرد الشديد فيها . وقد لفقوا محاورة تدور عليها بين شهري امشير وبرمهات اذ

---

(١) قال سعادة احمد زكي باشا في المحفلية التي اقامها في مؤتمر المستشرقين بلندن في ٨ سبتمبر سنة ١٨٩٢ ان الازدي نظم قصيدة ذكرت فيها كلمة عجوز اشتهر وستير من مع اختلاف المعاني وقد شرحها ابو حيان واضاف اليها ١٣ معنى جديداً فيكون لكلمة عجوز خمسة وسبعون معنى

بقولهم اشهر لبرهات اربعة مني خد واربعة منك هات فطير العجوزة بين الفكاك وهذه الايام الثمانية قد حددها البيضاوي المشهور في تفسيره سورة الحاقة (٦٩ : ٦و٧) بانها من صبيحة يوم اربعاء الى غروب يوم الاربعاء الآخر قال بالحرف

« واما عاد فأهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت او البرد من الصر او الصرة عاتية شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها . سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف اوصفة جيء به لئلا يتوهم من انها كانت اعصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية ايام حسوماً متتابعات جمع حاسم من حسمت كل خير واستأصلت او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدراً منتصباً على العلة بمعنى قطعاً او المصدر لفعله المقدر حالاً اي تحسمهم حسوماً ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الاخر وانما سميت عجوزاً لانها عجز للشتاء او لان عجوزاً من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها » اه

وجاء في الجزء السابع من لسان العرب وجه ٣٣٨ في فصل العين حرف الزاي (عجز) وايام العجوز عند العرب خمسة ايام صِنٌّ وصِنَّبْرٌ وأُخَيُّها ويُرٌ ومُطْفِئُ الجمر ومُكْفِئُ الظعن قال ابن كناسة هي من نوء الصرفة وقال ابو الهوش هي سبعة ايام وانشد لابن احمر

كُمِع الشتاء بسبعة غُبْرٍ صِنٌّ وصِنَّبْرٌ مع الوبْرِ
وبآمرٍ واخيهِ موءِمٍ ـــــر ومُعَلِّلٍ ومطفِّئ الجمْرِ
فاذا انقضت ايامُها وخت ايام شهلتنا (١) من الشهرِ
ذهب الشتاء مولياً عجلاً وأتتك واقدةٌ من الغبرِ (٢)

قال ابن بري هذه الابيات ليست لابن احمر وانما هي لابي شبل الاعرابي كذا ذكره ثعلب عن ابن الاعرابي اه

اما سبب التسمية وعدد الايام فقد اختلفت فيها الروايات نذكر اشهرها فالعامة لا يقولون ايام العجوز بل برد العجوز والمشهور على السنتهم ان عجوزاً كان لها سبعة اولاد فمن شدة برد تلك الايام مات لها في كل ليلة ولد فما انقضت تلك الليالي الا وقد ماتوا فسميت تلك الاوقات عند طولها في كل سنة ببرد العجوز

(١) المراد بالشهلة العجوز (٢) وبالغبر اول الشهر

ولذلك وضعوا جملة على لسان شهري امشير و برمهات تفيد ان الاربعة الايام الخيرة من امشير ومثلها من برمهات هي من اخس ايام الشتاء خصوصاً للعجوز ويقال ايضاً ثلاثة مني خد وثلاثة منك هات لا تخلي الرايحات ولا الجايات

وقد زادوا في عددها فيمن ان كانت خمسة او ستة او سبعة او ثمانية كما تقدم جاء في رواية انها زادت الى العشرين وعليه قولهم :

امشير يقول لبرمهات عشرة مني خد عشرة منك هات نطير العجوزة بين السفكات

على ان التقاويم كلها تعين ايام الحسوم الثمانية من اول برمهات الى الثامن منهُ بلا اشتراك بينهُ وبين امشير وبعضهم يعينها سبعة ايام فيه

وجاء في الجزء الخامس عشر من لسان العرب صحيفة ٣٤ فصل الحاء حرف الميم في مادة حسم ما يأتي :

« والحسوم الشؤم و ايام حسوم وصفت بالمصدر لقطع الخير او تمحهُ وقد تضاف والصفة اعلى وفي التنزيل « سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية ايام حسوماً » وقيل الايام الحسوم الدائمة في الشر خاصة وعلى هذا فسر بعضهم هذه الآية التي تلوناها وقيل هي المتوالية قال ابن سيده واراهُ المتوالية في الشر خاصة . قال الفراء الحسوم التتابع اذا تتابع الشيء فلم ينقطع اولهُ عن آخره قيل لهُ حسوم وقال ابن عرفه في قوله « ثمانية ايام حسوماً » اي متتابعة قال ابو منصور اراد متتابعة لم يقطع اولهُ عن آخره كما يتابع الكي على المقطوع ليحسم دمهُ اي يقطعهُ ثم قيل لكل شيء تتابع حاسم وجمعهُ حسوم مثل شاهد وشهود و يقال اقطعوهُ ثم احسموهُ اي اقطعوا عنهُ الدم بالكي . والحسم كي العرق بالنار . وفي حديث سعد انهُ كواه في اكحله (عرق في الذراع) ثم حسمهُ اي قطع الدم عنهُ بالكي . الجوهري

« و يقال الليالي الحسوم لانها تحسم الخير عن اهلها قيل انهُ أُخذ من حسم الداء اذا كوي صاحبهُ لانهُ يحمى بكوى بالمكواة ثم يتابع ذلك عليهِ وقال الزجاج الذي توجبهُ اللغة في معنى قولهِ حسوماً اي تحسمهم حسوماً اي تذهبهم تفنيهم . قال الازهري وهذا كقولهِ عز وعلا فقطع دابر القوم الذين ظلموا

« وقال يونس الحسوم يورث الحشوم وقال الحسوم الدووب قال والحشوم الاعياء . و يقال هذه ليالي الحسوم تحسم الخير عن اهلها كما حسم عن عاد في قوله عز وجل « ثمانية ايام حسوماً » اي شؤماً عليهم ونحساً » اه

والعامة ينعتون تلك الايام بايام النحس وقد يجمعونها بقولهم ايام الحسومات باعتبار لفظ حسوم فرد وحسومات جمعها

ومرى الاعتقاد عند العامة بشؤم تلك الايام وان من تحمل فيها تلد ولداً غريب الصورة في الخلقة مشوهها او يعدّ من عجائب المخلوقات لمخالفة للوالد العادية فيقولون هذا من اولاد الحسومات

وجاء في الجزء الثامن من تفسير الرازي صفحة ٢٨٠ و ٢٨١

وردت في تفسير الآية « وسخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوماً » قال مقاتل سلطها عليهم وقال الزجاج قامها عليهم وقال آخرون ارسلها عليهم

« هذه هي الالفاظ المنقولة عن المفسرين وعندي ان فيه لطيفة وذلك لان من الناس من قال ان تلك الرياح انما اشتدت لان اتصالاً فلكياً نجومياً اقتضى ذلك فقوله سخرها فيه اشارة الى نفي ذلك المذهب وبيان ذلك انما حصل بتدبير الله وقدرته فانهُ لولا هذه الدقيقة لما حصل منهُ التخويف والتحذير عن العقاب وقولهُ

« واختلفوا في الحسوم على وجوه : احدها وهو قول الاكثرين حسوماً اي متتابعة اي هذه الايام تتابعت عليهم بالريح المهلكة فلم يكن فيها فتور ولا انقطاع وعلى هذا القول حسوم جمع حاسم كشهود وقعود ومعنى الحسر في اللغة القطع يقال حسمت الداء اذا قطعته ومنه السيف حسام لانهُ يحسم العدو عما يريد من بلوغ عداوته فلما كانت تلك الرياح متتابعة فاسكنت ساعة حتى اثنت عليهم اشبه تتابعها عليهم تتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى يحسم

« ثانيها ان تلك الرياح حسمت كل خير واستأصلت كل بركة فكانت حسوماً او حسمتهم فلم يبقَ منهم احد فالحسوم على هذين القولين جمع حاسم

« ثالثها ان يكون الحسوم مصدراً كالشكور والكفور وعلى هذا التقدير فاما ان ينتصب بفعلهِ مضمراً والتقدير يحسم حسوماً يعني استأصل استئصالاً او يكون صفة كقولك ذا حسوم او يكون مفعولاً لهُ اي سخرها عليهم للاستئصال . وقرأ السري حسوماً بالفتح حالاً من الريح اي سخرها عليهم مستأصلة وقيل هي ايام العجوز وانما سميت بايام العجوز لان عجوزاً من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء » اه

ولحضرة السيد بك عزمي كتاب عنوانهُ الكنوز الذهبية في الزراعة العملية المصرية جاء في فصل مواسم الزراعة ما يأتي : « ومعلوم ان كل مزارع يلزمهُ قبل كل شيء معرفة اوان الزراعة ومواسمها في الاشهر القبطية وتواريخ العادات المصرية القديمة فنقول

بغاية الايجاز بدون تعرض للاسباب التاريخية خشية الخروج عن مواضيع كتابنا

« الحسوم وبرد العجوز تبتدئ من اول شهر برمهات الموافق ١ مارس او ١٢ منهُ في الغالب وتنتهي في يوم ٧ برمهات (١٦ او ١٧ مارس) وقيل ان سبب تسمية هذه الايام بايام العجوز ان امرأة عجوزاً من الاعراب كانت تنصح قومها بتجنب جز اغنامهم قبل هذه الايام فعصوها فجاءت بعض السنين ببرد شديد فماتت جميع اغنام القوم الاَّ اغنام العجوز فانها بقيت سالمة لاحتمالها مقاومة شدة البرد بواسطة وقايتها باغطيتها الطبيعية (اصوافها واشعارها) ولذلك نسبت لها هذه الايام » اه

وفي الشام ان ايام العجوز سبعة تأتي في آخر الشتاء و يشتد فيها البرد وهي ثلاثة من آخر شباط واربعة من اول آذار و اسمها العامة بالمستقرضات ولذلك لفقوا حديثاً جرى بين الشهرين المذكورين وهو :

« آذار يقول لشباط يا شباط يا ابن عمي ثلاثة منك واربعة مني تناخدا العجوز ودولابها »

وقد جاء في المقامة الخزرجية في مجمع البحرين ٦ : ١٣٦ : ايام برد العجوز هي الايام السبعة التي بين اواخر شباط واوائل آذار والعامة تقول لها المستقرضات وهي

الصنُّ والصنَّبرُ ثم الوبرُ و بعدهُ الآمرُ والمؤتمرُ
كذا معللٌ ومعاني الجمر هاتيك ايام العجوز غادرِ

وفي عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني صحيفة ٧٣ و ٧٤ « وفي السادس والعشرين من شباط اول ايام العجوز وايام العجوز سبعة ايام ثلاثة من شباط واربعة من آذار قيل انما سميت ايام العجوز لان الله تعالى اهلك قوم عاد في هذه الايام فتخلفت منهم عجوز كانت تنوح عليهم كل سنة في هذه الايام . فهذه الايام لا تخلو من برد او رياح او كدورة فذهب بعضهم الى انها من الامور الطبيعية وان البرد يشتد في آخر الشتاء كما ان الحر يشتد في آخر الصيف وذلك يجري مجرى السراج الذي فتيلته رطبة فان عند انطفائه يشتد ضوؤهُ دفعات . وفي الربيع من آذار آخر ايام العجوز » وذهب بعضهم الى انها انما سميت ايام العجوز لان عجوزاً كاهنة من العرب اخبرت قومها ببرد شديد في آخر الشتاء يسره الثرى على المواشي فلم يكترثوا بقولها وجزّوا اغنامهم واثقين باقبال الربيع فاذا هم ببردٍ شديد اهلك الزرع والضرع فنسبوا تلك الايام اليها » انتهى

توفيق اسكاروس
بدار الكتب السلطانية

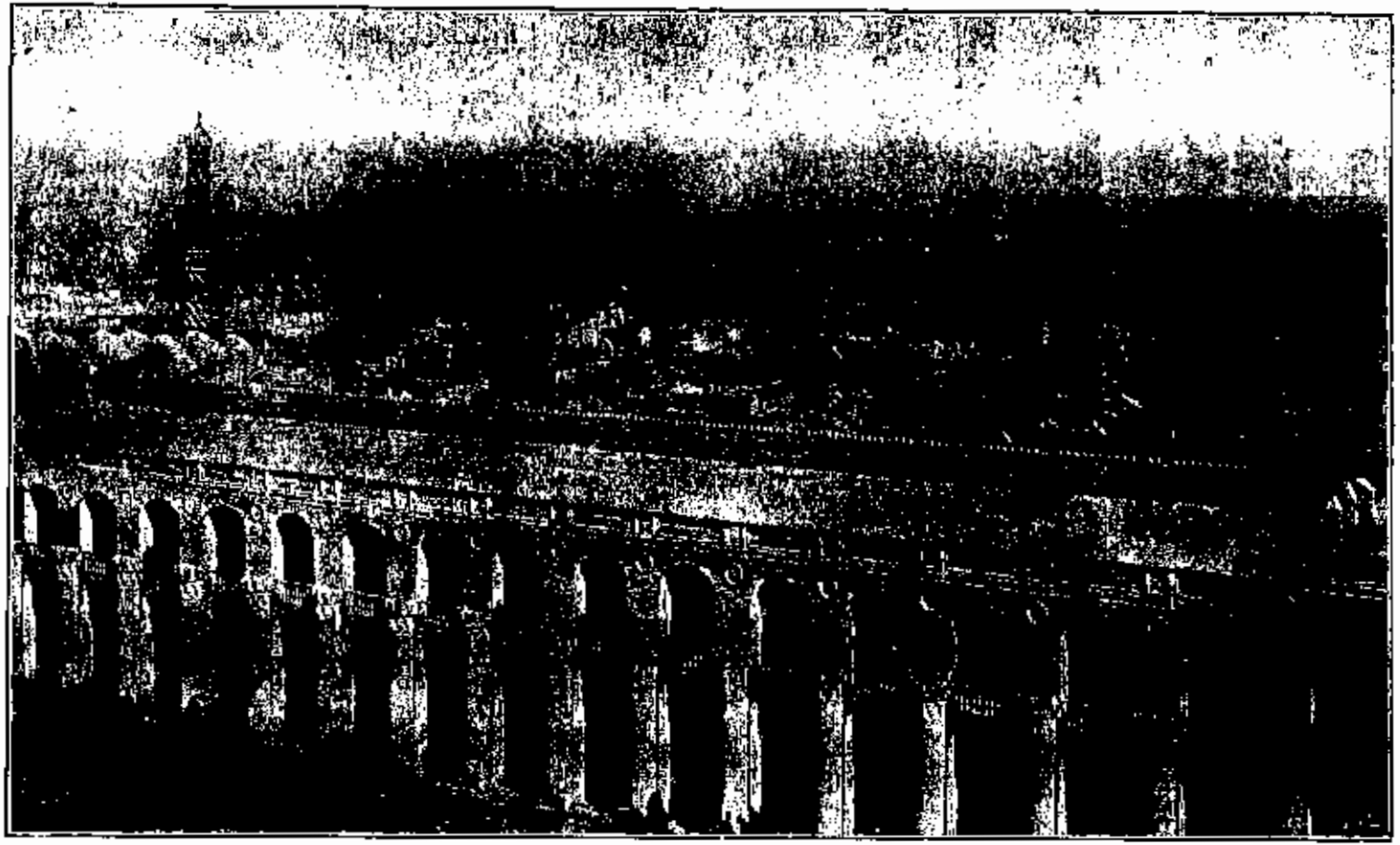

منظر مدينة بغداد من التكنات العثمانية

مقتطف أبريل ١٩١٧

امام الصفحة ٣٧٣